على الذين يقولون الملائكة بنات الله كما رد على النصارى قولهم المسيح ابن الله وخالد ردا على النصارى ومنهم
من هم يقولون بتفضيل الملائكة وذكر قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قالوا
قدم الملائكة على أولي العلم ومن جملة أولي العلم الأنبياء والتقديم في اللفظ يوجب التقديم في المعنى
وهذا أضعف الغلط لأنه مبني على أن الواو ترتب والصواب أنها لمطلق الجمع وأما في الترتيب ذكرا والتأخر
لا حكم له ولا حجة له أيضا في هذه الآية فإن لها محامل تتعدد من جملتها ما قاله ابن كيسان من أن المراد
بأولي العلم المهاجرون والأنصار وقال مقاتل علماء مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقال
السدي والكلبي يعني جميع علماء المؤمنين وقال الإمام الفخر الرازي المراد بأولي العلم هنا الذين عرفوا الله
بالدلائل القطعية لأن الشهادة إنما تكون مقبولة إذا كان الإخبار مقرونا بالعلم وهذا يدل
على أن هذه الدرجة الشريفة ليست إلا للعلماء بأصول الدين وعليه فالآية لا دليل فيها للقائل ○
بتفضيل الملك على النبي لاختلاف في المراد بأهل العلم وعليه فالنبي ليس بمراد فلا دخل له في أولي العلم
حتى يقع التفضيل المحتج عليه لأنه من أبين الأحوال إذا تطرق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال فسقط
بها الاستدلال وأما أصحاب القول الثالث وهو الوقف فمتمسكهم في توقفهم تعارض الأدلة فلأنه
لم يوجب توقفهم وقطع كلامهم وأما أصحاب القول الرابع وهم المفصلون فهم محققو الحنفية
كالتفتازاني والنسفي وأضرابهم فذهبوا إلى التفصيل فقالوا إن رسل البشر كموسى أفضل من رسل الملائكة
كجبريل ورسل الملائكة كإسرافيل أفضل من عامة البشر وهم أولياء غير الأنبياء كأبي بكر وعمر
رضي الله عنهم وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين
والمراد بعامة البشر صلحاؤهم وهم غير الفسقة وأما الفسقة فلا خلاف أن الملائكة أفضل منهم
ونحو أبي لهب وأبي جهل فالعلماء على أن الملائكة العلوية وأما السفلية فلا خلاف أن الأنبياء أفضل
منهم وهذا الخلاف كله إنما هو فيمن عدا نبينا صلى الله عليه وسلم أما هو فلا خلاف
أنه أفضل الخلق على الإطلاق وأما الخلاف في غيره وممن حكى هذا الإجماع فخر الدين والآمدي وغيره

تمل

وغيرهم ممن قال الشيخ التفتازاني في شرحه والقائلون بهذا التفصيل يحتجون على تفضيل رسل الملائكة على
عامة البشر بالإجماع بل إنه من باب الضرورة وعلى تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على
عامة الملائكة بالوجوه التي سبق بيانها وكلام العز بن عبد السلام ظاهر في التفصيل بين البعض
حيث قال التفضيل يقع بالمعارف والأحوال والطاعات وبكثرة إنعام الخالق على المخلوق وإن لم يكن من
قبل فضل الله تعالى النبيين المرسلين وأفاضل المؤمنين بالمعارف والأحوال والطاعات ونعيم
الجنان ورضى الرحمن والنظر إليه مع تسليمه وتكليمه وتبشيره بتأبيد الرضوان ولم يثبت للملائكة
مثل ذلك ولا شك أن أجسادهم أشرف من أجساد البشر وأما أرواحهم فإن كانت أعلى قدرا والجلال
أشرف من أرواح البشر فهم أفضل من البشر والتفوق للأرواح في ذلك بعد ظهوره الملائكة بأن
أجسادهم من نور والبشر من دم ولحم ومعظم البشر بإزاء ذلك وإن فضل البشر في الأحوال ○
والمعارف والطاعات كانوا أفضل منهم فإن للبشر طاعات لم تثبت للملائكة كالجهاد والصبر
على البلاء ومجاهدة الهوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل مشاق العبادات لله وأنهم
يرون ربهم ويسلم عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة وإن كانوا يسبحون الليل والنهار
لا يفترون ورب عمل قليل أفضل من تسبيح كثير وكم من نائم أفضل من قائم ومن قال تعالى إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية أي خير الخليقة والملائكة من الخليقة فلا يقال
الملائكة من الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن هذا اللفظ مخصوص في عرف الشرع بمن آمن من البشر
فإن قيل أيهما أفضل الملائكة أو رؤيتهم فللقائل منع من ذلك قوله تعالى لا تدركه الأبصار
من عموم المؤمنين فيقع عمومه في الملائكة لا بالإدراك والله أعلم ثم اعلم أن أولي العزم
من الرسل أفضل من بقية الرسل ثم بقية الرسل أفضل من الأنبياء غير الرسل واختلف العلماء فيمن يليه صلى الله
عليه وسلم من أولي العزم الذي اختاره العلماء أن إبراهيم وورد أن إبراهيم عليه السلام خير البرية بعد
نبينا صلى الله عليه وسلم بالإجماع فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام ثم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1